# جدلية العلاقة بين الجمال والأدب عند بيتر لامارك

محمود محمد حسن (*)

إن التداخل القوي بين علم الجمال والأدب يمثل في صميمه ذلك التداخل الواقع بين الفن والجمال بشكل عام، إذ أن الأدب نوع من الفنون، ضمن ما يسمى بالفنون السمعية، والفن بصورة عامة موجود منذ بدء التاريخ، وبالتالي إذا كان الفن قديمًا قدم الإنسان، فيمكننا أن نقول أن الأدب كذلك قديم قدم الإنسان [١].

إن الفن يوفر لنا أدوات النظر في الحياة بطريقة مختلفة، فيمكن للوحة إظهار جمال الشخص الداخلي، ويستطيع المتلقى تقدير العالم من خلال الفن بطريقة أفضل، حيث يبحث العمل الفني من خلال الإسلوب الأدبي عن الاستجابة المتميزة من القراء، وذلك يساعد على التقدير وزيادة القيمة الأدبية لذلك العمل [٢].

وقد اهتم بيتر لامارك[*] Peter Lamarque (١٩٤٨ – ...) بدراسة الأدب؛ حيث حدد ماهيته، وطبيعة علاقته بعلم الجمال، وفى هذا البحث نحاول الإجابة عن بعض التساؤلات من قبيل:

---

(*) مدرس مساعد بقسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة سوهاج.
هذا البحث من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [علم الجمال الأدبى عند "بيتر لامارك"] تحت إشراف أ.د. راوية عبد المنعم عباس – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية & أ.م.د. شرف الدين عبد الحميد أمين – كلية الآداب – جامعة سوهاج & د. مصطفى عبد الرؤف راشد – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) عباس، راوية عبد المنعم، محمد، علي عبد المعطى: الحس الجمالي وتاريخ التذوق الفني عبر العصور، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٥، ص ١٤.

(2) **Umbers, Richard: Book review(Art emotion and ethics by Berys Gaut), the Heythrop journal, vol. 51, No. 1, January, 2010, P. 173.**

(*) بيتر لامارك: فيلسوف بريطاني، أستاذ الفلسفة بجامعة يورك، وهو أحد أتباع المدرسة التحليلية، قام بتدريس الفلسفة فى عدة جامعات منها جامعة ييل، وجامعة كورنيل، إلى جانب عمله رئيسًا لتحرير المجلة البريطانية لعلم الجمال من عام ١٩٩٥ حتى ٢٠٠٨ م، بالإضافة إلى عضويته فى عديد من المجلات الفلسفية منها مجلة علم الجمال والنقد الأدبى، مجلة نوتردام للمراجعات الفلسفي ، وقد حاز على عدد من الجوائز العلمية، حيث منحته الجمعية الإيطالية لعلم الجمال جائزة الجماليات عام ٢٠١٨ م، عن كتابه المترجم إلى الإيطالية "العمل والموضوع" Work and Object ؛ الذى يدور حول الرؤية الميتافيزيقة للأعمال الفنية، وتنصب معظم اهتماماته الفلسفية حول دراسة الأعمال الأدبية المختلفة (الشعر، المسرح، الرواية ..)، ومدى ارتباطها بالنظريات الجمالية والفنية؛ حيث تدور مؤلفاته حول دراسة موضوعات الفلسفة والأدب وعلاقتها بالنظريات الجمالية المعاصرة، فى ضوء الفلسفة التحليلية، ومن أهمها: الجماليات والأدب: علاقة إشكالية Aesthetics and

- ما ماهية النص الأدبى؟
- ما الفرق بين النص الأدبى والنصوص الأخرى (كالنصوص القانونية، والتاريخية، والعلمية، وغيرها)؟
- ما ماهية علم الجمال وموقع الأدب منه؟
- ما طبيعة العلاقة بين الأدب وعلم الجمال؟
- ما المزايا الجمالية الكامنة في الأعمال الأدبية؟ وكيف يمكن اختبارها من قبل المتلقي؟
- هل يمكن تقديم صورة واضحة للأدب تميّزه عما ليس بأدب؟

أما عن المنهج المستخدم فى البحث؛ فسيتم الإعتماد على المنهج التحليلى النقدى المقارن.

بداية نجد أن النقاد الأدبيين بشكل عام يظهرون إحجامًا واضحًا عن الاعتراف بعلاقة الجماليات بالأدب، يجب أن يكون هذا في حد ذاته أكثر إثارة للدهشة مما هو عليه بالنسبة لفلاسفة الفن الذين يولون قدرًا قليلًا من الاهتمام لهذه المسألة. بالطبع يمكن أن يكون هناك العديد من الأسباب لهذا التردد، ليس أقلها نظرة ضيقة لما يعتبر جماليات، وتتضح مخاوف النقاد الأدبيين بشأن الجماليات من حديث متبادل بين ثلاثة نقاد بارزين هم: فرانك كرمود[*] Frank Kermode (١٩١٩ – ٢٠١٠)، أستاذ اللغة الإنجليزية الفخري في جامعة كامبريدج، وجيوفري هارتمان[**] Geoffrey Hartman (١٩٢٩ – ٢٠١٦)، أستاذ اللغة الإنجليزية الفخري في

---

literature: a problematic relation ، فلسفة الأدب The Philosophy of Literature، العمل والموضوع Work and Object، غموض السرد The Opacity of Narrative.

**Look:** **https://www.york.ac.uk/philosophy/staff/peter-lamarque/#profile-content**
**In: 01-05-2021, 9:30 pm.**

[*] فرانك كرمود: ناقد أدبى بريطانى، اشتهر بعمله حاسة النهاية: دراسات في نظرية الرواية ١٩٦٧ م، ومن أهم مؤلفاته: الشعر القروي الإنجليزي من البدايات إلى مارفيل ١٩٥٢ م، وليام شكسبير: المسرحيات النهائية ١٩٦٣ م، الشعر والنثر والتاريخ ١٩٨٩ م.

**Look:** -**https://www.bloomsbury.com/author/frank-kermode 2/5/2021, 05:20 Am.**

[**] جيوفري هارتمان: كاتب وناقد أدبي وصحفي وأستاذ جامعي، وعضو في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، ومنظرًا أدبيًا أمريكيًا من مواليد ألمانيا، قضى معظم حياته في قسم الأدب المقارن في جامعة ييل، ومن أهم مؤلفاته: ما وراء الشكلية: مقالات أدبية، رحلة نقد: تأملات أدبية.

**Look:** -**https://www.britannica.com/biography/Geoffrey-H-Hartman 2/5/2021, 05:30 Am.**

جامعة ييل، وجون جيلوري[***] John Guillory، الرئيس الحالي وأستاذ اللغة الإنجليزية في جامعة نيويورك. وقد نشر ذلك الحوار فى مجلد بعنوان: المتعة والسرور، جماليات الآثار الأدبية الأصلية [*] Pleasure and Change: The Aesthetics of Canon، نُشر في عام ٢٠٠٤ م، فى نص بعنوان محاضرات كرمود فى بيركلى Kermode's Tanner Lectures at Berkeley مع تعليقات من قبل الناقدين الآخرين. يهدف كرمود إلى إحياء بعض المفاهيم الجمالية – على وجه التحديد فكرة المتعة الجمالية – لملء الفراغ الذي خلفه زوال "النظرية" الواضح منذ مطلع القرن الحادي والعشرين [١].

وعلى الرغم من أن كلا من "هارتمان" و "جيلوري" سعداء بالانتقال مع "كرمود" إلى ما وراء التحليلات الأيديولوجية المبسطة للنقاد الثقافيين في التسعينيات، إلا أن كليهما يعبران عن شكوكهما بشأن المتعة الجمالية؛ فيشير جون جيولورى إلى "الإحراج المنتشر مع موضوع المتعة في المجتمع النقدي، والسهولة التي يتم بها تحييد المتعة باعتبارها مجرد تأثير عرضي للتلقى، وينبع عدم ارتياحه من المتعة الجمالية من الشك حول الملذات العليا higher pleasures والارتقاء التقليدي للشعر بين الفنون الأدبية. على الرغم من أنه يقبل – بسهولة أكبر من كرمود نفسه – خصوصية المتعة الجمالية من بين أنواع أخرى من الملذات، إلا أنه يميل، ضد كرمود، إلى رفض الارتباط بين المتعة والآثار الأدبية الأصلية Canon، وهنا يجد هارتمان مفهوم المتعة ذاته، في السياق الأدبي، مفهومًا مريبًا (إشكاليًا) problematic وضعيفًا وصفيًا

---

[***] جون جيلوري: أستاذ في قسم اللغة الإنجليزية في جامعة نيويورك، يركز بحثه على الأدب الحديث، وتاريخ النقد والنظرية الأدبية، يعمل حاليًا على كتاب بعنوان: أشياء من السماء heaven والأرض: أشكال(صور) figures الفلسفة في كتابة عصر النهضة الإنجليزية، وتبحث هذه الدراسة في ظهور الفيلسوف كنموذج اجتماعي متميز في عصر النهضة، وفي العلاقات المتداخلة المعقدة بين الفلسفة واللاهوت من جهة، والفلسفة والأدب من جهة أخرى.

**Look: https://as.nyu.edu/content/nyu-as/as/faculty/john-guillory.html 2/5/2021, 05:40 Am.**

[*] يُستخدم مصطلح "canon" للتمييز بين الأعمال الأصلية للكاتب الذي ابتكر شخصيات أو إعدادات معينة، والأعمال اللاحقة لكتاب آخرين اتخذوا نفس الشخصيات أو الإعداد. على سبيل المثال ، يتكون قانون شيرلوك هولمز من ٥٦ قصة قصيرة وأربع روايات كتبها السير آرثر كونان دويل وتضم المحقق شيرلوك هولمز. تعتبر الأعمال اللاحقة لمؤلفين آخرين تناولوا شيرلوك هولمز "غير قانونية"، ويمكن ترجمة كلمةCanon ب (القواعد الأدبية) كما هو واضح في قاموس المعاني.

**Look: Thompson, Ann: King Lear, An Introduction to the Variety of Criticism, Macmillan Publishers, New York, 1988, PP. 60 – 66.**

**[1] Lamarque, Peter: Aesthetics and literature: a problematic relation? Springer Science+Business Media B.V., 2007, PP. 27 - 28.**

descriptively poor ويتحدث عن شحوب المحاكاة الصوتية onomatopoeic pallor، إلى الحد الذي تكون فيه المتعة في قلب الجمالية؛ فمن المحتمل أن تكون الشكوك التي عبر عنها جيلوري وهارتمان حول تأثير الجماليات على النقد مشتركة على نطاق واسع [١].

فلا يمكننا وصف الإحساس بالجمال وتفسيره من حيث المتعة الحسية – أي المتعة في الإدراك الحسي – فقط، لأن هناك أشياء يمكن أن تكون جميلة، مثل البراهين والأفكار الرياضية، ولا يمكن إدراكها من قبل الحواس على الإطلاق [٢].

الأمر نفسه الذي جعل جورج سانتيانا George Santayana (١٨٦٣ – ١٩٥٢) يؤمن بأن الشعر في أحد جانبيه يمثل طبقة الإيقاع الموسيقي التي تتكون بوصفها إيقاعا، وأن "الشعراء يعرفون متى يجمعون الأنغام ومتى يفردونها على تتابع. وهم يستطيعون أن يولّدوا آلافاً من ضروب التأثير الرائعة المختلفة عن طريق تنسيق الأصوات والصور، والتدرج بالعاطفة والانتقالات الفطنة المفاجئة، ونجد أمثلة لهذا الفن في خطابة شيشرون، وفي شعر الحكم، وفي القصائد الغنائية والمرثيات بشكل عام" [٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أن فلاسفة الجمال الذين يقبلون بسهولة مكانًا للأدب ضمن علم الجمال، غالبًا ما يشاركون العديد من التحفظات الموجودة بين النقاد الأدبيين؛ فالمتعة الجمالية ليست موضوعًا بارزًا لفلاسفة الجمال المهتمون بدراسة الأدب، ولا يُبذل الكثير من الجهد الجاد للترويج لمفردات جمالية في وصف الأعمال الأدبية [٤].

**إذن، ما المكان الذي يحتله الأدب ضمن علم الجمال المعاصر؟**

للأدب مكانة طبيعية ضمن فلسفة الفن، والذى غالبا ما يتم التعامل معه على أنه متطابق مع علم الجمال، وقليل من علماء الجمال يشككون في أن الأدب يجب أن يعتبر من الفنون، وعندما تم تمييز الفنون الجميلة في البداية في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، تم تضمين الشعر جنبًا إلى جنب مع الرسم والموسيقى والنحت والرقص، وبالفعل تعود فكرة فن الشعر "ars poetica" إلى ما وراء هوراس Horace إلى الإغريق القدماء، وهناك القليل من

---

(1) **Ibid, P. 28**

(2) **Gaut, Berys: Art, Emotion and Ethics, Oxford University Press, Oxford, 2007, P. 27.**

(٣) سانتيانا، جورج: الإحساس بالجمال، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، مراجعة: زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١ م، ص ١٩١.

(4) **Lamarque, Peter: Aesthetics and literature: a problematic relation? Op. Cit., PP. 28 - 29**

الخلاف على أن الشعر هو أحد أشكال الفن الرفيع وليس من الصعب تمييز فن الشعر، ومع ذلك؛ فمما يثير الفضول في المناقشات الحالية حول الأدب ضمن علم الجمال عدم كتابة أي شيء تقريبًا عن الشعر في حد ذاته؛ حيث يتم إيلاء معظم الاهتمام للسرد في الرواية أو الدراما، ولكن ليس من الواضح على الأقل أن هناك مفهومًا موحدًا يجمع بين الشعر والنثر الروائي تحت عنوان "الفنون الجميلة fine art" [١].

وبالإشارة إلى وضع الأدب ضمن سياق الجميل والجليل؛ فإن الجمال نفسه يرتقي إلى مرتبة الجميل، والجميل إلى الجليل، ولعل الجمال– كما في أساليب العربية أدبا وبلاغة.. لقد غدا هدف الدراسات الحديثة باعتبار الإبداعية التعبيرية، إنتاجا إنسانيا جماليا، وباعتبار أنها تماثل الجمال الذي تلتقطه الحواس، من الطبيعة والأشياء والظواهر الطبيعية، وكذلك يتصل بالكل؛ فالجمال إبداع إنساني، من جهة الشكل غالبًا، فالجمال مفهوم يتناول الظاهرات الفنية، والتى يعد بطبيعة حال الأدب واحدًا منها، بصفته إنتاجًا معرفيًا إنسانيًا يتصف بالجمال، بينما الجميل يحتاج إلى الحواس والشعور معا، وهو يرتبط بالقيود والقوانين، على الرغم من أنه يبدو مستقلا عنها. فالجميل أعلى مرتبة من الجمال؛ لأنه لا يعتمد على الحواس فقط، وإنما يحتاج إلى الشعور بجانب الحواس، حتى نشعر بقيمته؛ لأن الجميل إنما هو تجّلي الروح والأفكار في الأشياء و الظواهر...والجميل في الفن و الأدب والبلاغة هو نهاية المطاف[٢].

ينقسم الجمال بطبيعة الحال إلى قسمين: جمال طبيعي، نلمسه في الطبيعة ومظاهرها، وجمال فني نجده في ما توصل إليه الإنسان من إبداع فني خلاق، في شتى مجالات الخلق الفني، ولا شك أن موقع الأدب كامن في هذا القسم الثانى، إلا أن الإشكال القائم يبقى في الحكم على تلك المدركات، فبتدخل الذوق يقع الاختلاف في الأحكام، وينتفي معه إقرارنا بصواب هذا الحكم أو ذاك، أو مجانبة هذا الحكم أو ذاك للصواب.

ومن بين مجموعة القضايا التي تشغل كتابات الفلاسفة عن الأدب، لا تزال الأسئلة المتعلقة بالقيم المعرفية والأخلاقية تحتل مرتبة عالية (كما هو الحال لدى الفلاسفة اليونانيين القدماء) وكذلك المناقشات حول النية التأليفية في النقد، وحول الخيال والعاطفة. ومع ذلك؛ فمن سمات هذه النقاشات أنها نادراً ما تركز على السمات الأدبية على وجه التحديد، والأقل جمالية بكثير، وقد سيطرت على التساؤل حول الاستجابات العاطفية للخيال أمثلة من الأفلام، معظمها من الأنواع المتنوعة مثل الرعب؛ حيث تنطبق القضايا الأخرى المتعلقة بالخيال – المرجع ،

---

(1) **Ibid, P. 29.**

(٢) جمعة، حسين: جمالية الخبر والإنشاء، (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥، ص١٦ .

وقيمة الحقيقة ، والأنطولوجيا – بشكل غير مبالٍ على الروايات غير الأدبية والأدبية، وعادةً ما تركز على نظريات المعنى أو الميتافيزيقيا، ربما لهذا السبب لم تلق اهتمام النقاد الأدبيين؛ حيث تظهر المناقشات الرئيسة حول النية والإدراك والأخلاق أيضًا، بشكل عشوائى، بالنسبة لأشكال الفن الأخرى ولا تستند الحجج الأساسية بشكل حاسم إلى طبيعة الأدب وحالته. بشكل عام ، ليس من الواضح على الإطلاق أنه عندما يوجه الفلاسفة انتباههم إلى الأدب، فإنهم يشاركون حقًا في علم الجمال على الإطلاق، على عكس فلسفة اللغة philosophy of language، والميتافيزيقا metaphysics، والأنطولوجيا ontology، ونظرية المعرفة epistemology، والفلسفة الأخلاقية moral philosophy، وفي أحسن الأحوال فلسفة الفن philosophy of art [١].

ويبدو أن تهميش فلاسفة الجمال للجمال الأدبي يثير أسف "لامارك"، على الرغم من أنه يرى أن الشغف الذي يطرحه الأدب على النفس يشكل محورا مركزيا لإدراك الجمال.

ففى ظل عدم استقرار النقاد الأدبيين والاهتمام الهامشى للفلاسفة بعلم الجمال الأدبى يبرز تساؤل رئيس – فيما يرى لامارك – ألا وهو: **ما الذي يمكن أن ينطوي عليه العمل الأدبى حتى يصبح موضوعا للاهتمام الجمالى aesthetic attention والتقييم الجمالى aesthetic appraisal؟** على الرغم من صحة افتراض كرمود بأن المتعة الجمالية تشكل محورا مركزيا للاهتمام الجمالي، إلا أنه قد أخطأ حينما سعى إلى تطبيع ملذات الأدب، عبر سيجموند فرويد Sigmund Freud (١٨٥٦ – ١٩٣٩) ورولان بارت[*] Roland Barthes (١٩١٥ – ١٩٨٠)، لاختزالهم المتعة فى النشاط الجنسي (متعة بارت) Barthes' jouissance [٢].

إن مفهوم الجمال انتقل من مراحله البدائية الأولى الساذجة، إلى مراحل متقدمة، نما معها وعي الإنسان و إدراكه، وتطور مفهومه وتصوره للجمال، حتى صار هذا المفهوم فرعًا من الفروع التي تتناولها الفلسفة، وصار ملازما لها، وراح العلماء والفلاسفة والنقاد، ينظرون لمفهوم الجمال وماهيته، وطبيعة الجمالي وخصائصه، والشعور الجمالي (الانفعال الجمالي)، وكيف

---

(1) **Lamarque, Peter: Aesthetics and literature: a problematic relation? Op. Cit., P. 29.**

(*) رولان بارت: كان كاتبًا وناقدًا اجتماعيًا وأدبيًا، فرنسي، درس في جامعة باريس، تدور كتاباته حول السيميائية (علم الرموز)، ساعد في تأسيس البنيوية والنقدية الجديدة كحركات فكرية رائدة.

**Look: - https://www.britannica.com/biography/Roland-Gerard-Barthes 2/5/2021, 05:50 Am.**

(2) **Lamarque, Peter: Aesthetics and literature: a problematic relation? Op. Cit., P. 29.**

يحدث؟ فأسسوا بذلك لعلم جديد هو علم الجمال الأدبي، هذا العلم الذي يتناول الفن بصفة عامة فصار متداخلا معه، بل صار هو مجال دراسته، أي دراسة الظاهرات الفنية (الإبداع الفني)، بشتى أنواعها وفي جميع المجالات، في وقت انتشرت فيه العلوم وكثُرت التخصصات، فصار كُل علم يتناول مادةً أو ظاهرة إنسانية أو طبيعة بالدرس من شتى جوانبها، ومن تلك العلوم، علم الفن الذي قطع العلماء أشواطاً معتبرة في سعيهم للتأسيس له، وإن كانت مراحل أولية إلا إنها جاءت بنتائج حسنة[١].

وأبرز هذه العلوم التي ظهرت، تقوم على دراسة الظاهرة الفنية من عدة جوانب، متعّلقة بالجانب الأدبي أي علم الجمال الأدبي، هذا العلم الذي يتناول جهد الأديب في عمله الفني. ولعل أول المناهج التي تناولت الظاهرة الفنية، هو: المنهج التأملى، والذي لم يتعامل مع الظاهرة الفنية بكل شيء عجز عن رده إلى مصدر معلوم، فربط الفن بمصدر (القيمة) وطلب إليه أن يصوغ الهموم والغايات، وأن يعكس المشكلات و العلاقات، وأن يربي وأن يوجه وأن يستنفر، ولقد كان ذلك كّله نتيجة عجز المنهج التأملي عن الوصول إلى حقائق الظاهرة الفنية. فكان عجز التأمليين في معرفة حقيقة الظاهرة وطبيعتها، دفعهم إلى الاشتغال بعلاقاتها، وحملها على التحدث عن هموم الناس ومشكلاتهم وعلاقاتهم وأن توجههم وترييهم، صحيح أن الأدب هو "تفسير الحياة واستخراج معانيها، إلا إنه من الواضح أن استخراج معاني الحياة والتعبير عنها إنما يرجع إلى الإنسان نفسه من قوة عاطفته، لأن الحياة بمعناها الواسع لا تسيطر عليها الحقائق الخارجية، ولا التفكير العقلي، بمقدار ما تسيطر عليها العواطف، هي التي تحركنا إلى العمل، وتوجه الإرادة، وتحدد مجرى الحياة؛ فالأدب هو الكشف عن الحياة ومعانيها، ولا يكون ذلك إلا بالعاطفة القوية، لأنها هي التي تدفعنا إلى العمل. وانطلاقا من هذا، فإن الأديب ينظر إلى الحياة من منطلق ذاتي وعاطفي، ومن ثم فهو ليس ملزما بأن يحل مشاكل الحياة، ويتحدث عن هموم الناس، قد يفعل ذلك، لكن انطلاقا من هموم الشاعر ومشاكله؛ فالأدب أكثر ما يكون "ذاتيا" [٢].

ومن هذا المنطلق؛ فعلم الجمال الأدبي، علم يتناول الظاهرة الأدبية بعناصرها الأساسية الأربعة، التي أجمع النقاد على أن الأدب يتشكل منها، وهي : العاطفة، والمعنى، والأسلوب، والخيال، ونعنى بذلك أن كل نوع من الأدب لابد أن يشتمل على هذه العناصر الأربعة ولا يخلو منها عنصر، وهذه العناصر هي التي يتشكل من خلالها الحكم بأنه عمل فني [٣].

---

[١] تليمة، عبد المنعم: مدخل إلى علم الجمال الأدبي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨، ص٦٣.

[٢] المرجع السابق، ص٦٣.

[٣] المرجع السابق.

وفى إطار تحديد القيمة الجمالية للأدب يحاول لامارك أن يحدد سمات التقييم الجمالي للأدب قائلا: "إذا كانت الجماليات ذات صلة على الإطلاق بالأدب؛ فيجب علينا أن نحدد السمات اللازمة لتطبيق التقييم الجمالى على العمل الأدبى، التى يمكن من خلالها النظر إلى الأدب كشكل فني ... ويرتبط التقييم الجمالي للنصوص المختلفة بالعلاقة بين الجماليات والأدب: وهى علاقة إشكالية، يتشابك فيها الإدراك perception مع الخبرة الحسية sensory experience أو "ظهور" الأشياء the ''appearance'' of objects، وغالبًا ما يعد ذلك سبب انفصال الأدب عن الأشكال الفنية الأخرى وعن الجماليات" [١].

وللمضى قدما فى تحديد السمات الجمالية للعمل الأدبى – فيما يرى لامارك – يجب علينا أن نبتعد عن فكرة كانط عن الاهتمام المنزه عن الغرض disinterested attention، ونقتفى أثر فرانك سيبلى[*] Frank Noel Sibley (١٩٢٣ – ١٩٩٦) فى القيود التى وضعها لتطوير النهج الجمالى aesthetic approach، وعلى الرغم من أن تلك الصفات غير ملزمة لنا بشكل مطلق إلا أنها تساعدنا فى تحديد ووصف الجوانب الجمالية للأعمال الفنية، مما يجعلها ذات فائدة للناقد الأدبى[٢].

حيث يذهب فرانك سيبلي إلى أن المصطلحات، والتعبيرات، والصفات الجمالية، تعتمد في نهاية المطاف على وجود بعض السمات الأساسية، التي يمكننا تمييزها بها دون أي ممارسة للذوق أو الحساسية [٣].

---

[1] **Lamarque, Peter: Aesthetics and literature: a problematic relation? Op. Cit, PP. 29 - 30.**

[*] فرانك سيبلي: فيلسوف بريطاني، تناول "المفاهيم الجمالية" عام ١٩٥٩م، وذكر ثلاث قضايا من أكثر القضايا أساسية وصعوبة في التخصص وهي: الذوق، والنقد، والتمييز بين الجمالي وغير الجمالي، ويجب أن ينسب إلى سيبلي افتتاح النهضة في علم الجمال وفلسفة الفن في العالم الناطق بالإنجليزية بعد الحرب العالمية الثانية، وعلى الرغم من أن شهرته تتبع أساسًا من "المفاهيم الجمالية" إلا أنها ليست المنشورات الوحيدة في هذا المجال، فمن أهم أعماله أيضًا: الجماليات ومظاهر الأشياء ١٩٥٩ م، الجمالية وغير الجمالية١٩٦٥ م.

**Look: - Lays, Colin: Sibely, in: The Routledge Companion to Aesthetics, Ed. By: Berys Gaut and Dominic Mclver Lopes, 2nd Edition, Routledge, New York, 2005, PP. 176 - 180**

[2] **Lamarque, Peter: Aesthetics and literature: a problematic relation? Op. Cit., P. 30.**

[3] **Sibley, Frank: Aesthetic Concepts, The Philosophical Review, Vol. 72, No. 1, 1963, P. 81.**

ويدعونا لامارك أن نأخذ برؤية سيبلي، وذلك لأن لرؤية سيبلى عدة فوائد: تتمثل إحدى تلك الفوائد في إظهار أن الجماليات لا تقتصر على فكرة الجميل فقط، كما هو الحال في القرن الثامن عشر. إن الحديث عن فكرة الجميل Beauty فقط فى الأعمال الأدبية هو أمر مسكن مثل مجرد التحدث عن المتعة التي توفرها تلك الأعمال؛ وقد ذهب سيبلى إلى أن التقييمات الجمالية، وبالتالي الاهتمامات الجمالية aesthetic interests، أوسع بكثير من ذلك .. أما الفائدة الأخرى فتتمثل فى إدراكه للطرق المختلفة التي يمكن من خلالها أن تتفاعل العناصر الوصفية والتقويمية descriptive and evaluative elements في المفاهيم الجمالية aesthetic concepts، والخصائص الجمالية ليست دائمًا أو فقط طرقًا لتقييم الأعمال الفنية؛ بل يجب أيضا الوضع فى الاعتبار كيفية ظهور العمل ، وما هو تأثيره، وما هو بارز فيه، وما يستحق الاهتمام الجمالي، كل تلك الأمور تعد محط انتباه الأوصاف الجمالية Aesthetic descriptions [١].

لقد حدد سيبلى ثلاث نقاط أساسية للخصائص الجمالية، وهي كالتالي:

**الأولى:** إن الخصائص الجمالية هي خصائص ناشئة أو جشطالت gestalt properties تتطلب شيئًا أكثر من مجرد إدراك حسي sensory perception لتمييزها، يؤكد سيبلي أن الأشخاص الذين يمتلكون نوعًا معينًا من "الحساسية" sensitivity أو "الذوق" taste، والذين يخضعون أنفسهم للتدريب والتحسين، سيكونون قادرين على تطبيق المصطلحات الجمالية بشكل صحيح، والانخراط في التقدير الجمالي aesthetic appreciation، وتمتد تلك الرؤية لتشمل الأعمال الأدبية؛ حيث أن مجرد فهم اللغة لا يكفي لتقدير العمل من الناحية الجمالية، فالتقدير الأدبي Literary appreciation ليس أسلوبًا طبيعيًا، ولكنه أسلوب قصدى (ناتج عن تدريب) للتمييز بين الأصناف الأدبية والحكم عليها [٢].

**الثانية:** لا توجد علاقة منطقية أو حتى استقرائية بين الخصائص غير الجمالية للشيء وخصائصه الجمالية؛ فلا توجد قائمة بالخصائص غير الجمالية – المادية physical والبنيوية structural والإدراكية perceptual – تستلزم وجود خاصية جمالية معينة ... وعند تطبيق تلك الفكرة على الأعمال الأدبية نجد أن السمات الجمالية الناشئة للعمل، لا يمكن استنتاجها من السمات النصية وحدها [٣]. ومن بين النتائج التي يستنتجها سيبلي نتيجة تمت مناقشتها في

---

(1) **Lamarque, Peter: Aesthetics and literature: a problematic relation? Op. Cit., P. 30.**

(2) **Loc. Cit.**

(3) **Ibid, P. 31.**

"الجمالية وغير الجمالية" تتعلق بالتفسير النقدي، فى إنه غالبًا ما يُفترض أن مهمة النقاد هي إثبات بالحجج أن الأعمال تمتلك هذه الخاصية أو تلك، واستخدام كلمة "سبب" في التأكيدات الجمالية [١].

**الثالثة:** إن تأثير السمات الجمالية على الحكم الجمالى لا يمكن تعميمه فى نطاق الإبداع الأدبى؛ فلا يمكننا القول بأنه كلما حدث مزيج من المميزات فى عمل معين يسهم فى تكرار التأثير الجمالى نفسه، على سبيل المثال، إن استخدام الصور الشعرية poetic imagery "نفسها" – الحب كوردة love as a rose، والوقت كطاغية time as a tyrant – في أعمال أدبية مختلفة لا يضمن بالضرورة تشابه التأثير الجمالي [٢].

وهذا يعني أن كل عمل أدبي يجب أن يتم النظر فيه منفصلا عن غيره، فكل عمل فني هو خلق خاص، ومن الخطأ تطبيق نفس ملابساته لخلق عمل مشابه له.

واستنادا إلى ذلك، يرى لامارك أن الصفات الجمالية، رغم ارتباطها بالصفات غير الجمالية، لا يمكن اختزالها فيها؛ حيث أن اختزال الأعمال الأدبية إلى حالات أكثر شيوعًا أو أكثر قابلية للتتبع هو أكبر عقبة أمام التوصيف الناجح للتقدير الجمالي الأدبي، فقط إذا أمكن إظهار الأعمال الأدبية كموضوعات لنوع مميز من التقييم الجمالي، ولتعزيز هذا التقييم، سيكون من الممكن فصل المجال الأدبي كموضوع جدير بمعالجته داخل علم الجمال، حتى يمكننا النظر إلى الأعمال الأدبية على أنها أكثر من قطع لغوية ممتعة، فإذا كان الجمال الأدبى فى حاجة للمتعة الجمالية، وللسمات الجمالية المتميزة عن السمات النصية فقط، ولأسلوب فريد من نوعه للتقدير الجمالي، ولبعض تصورات القيمة الجمالية aesthetic value، فإنه يجب ألا يُختزل فى أى من الأشكال الآتية:

- إلى أي شكل أدبي واحد (مثل الشعر).
- إلى الخصائص اللغوية (الدلالية أو النحوية أو الخطابية).
- إلى الخصائص الرسمية (مثل النمط أو الهيكل).
- إلى مفاهيم المتعة أو اللذة.
- إلى الحدس الطبيعى أو الاستجابات الساذجة [٣].

---

(1) **Lays, Colin: Sibely, Op. Cit., P. 176.**

(2) **Lamarque, Peter: Aesthetics and literature: a problematic relation? Op. Cit., P. 31.**

(3) **Ibid, P. 31.**

إن من أهم المشكلات التي تميز علم الجمال، مشكلة "جمال الشكل". فكما يقول "سانتيانا": "حيث توجد لذة حسية مثل لذة االون، وحيث تبعث عناصر الانطباع الحسي ذاتها على اللذة؛ فلا يلزمنا أن نبحث عن أسباب أخرى تفسر لنا ما نشعر به من لذة، وكذلك حيث يوجد التعبير ويكون الموضوع الذي لا يثير الحواس في ذاته مرتبطا بأفكار أخرى طريفة، فحينئذ تتعقد المشكلة وتتنوع، ولكنها تظل نسبيا مشكلة بسيطة من حيث المبدأ، لكن مع ذلك، ليس من السهل رد جمال الشكل إلى جمال العناصر التي يتألف منها؛ لأن من أشهر التجارب وأسهلها تلك التجربة التي تبين لنا كيف أن أبسطَ الخطوط يختلف تأثيرها في النفس باختلاف النسب بينها، ولو كان جمال الشكل مرده جمال العناصر التي يتكون منها؛ لكان العامة محقين في اعتقادهم أن جميع المنازل المبنية من الرخام متكافئة في جمالها" [١].

وعلى هذا المنوال يرى لامارك أن اختزال الجمال الأدبى فى سمات معينة يقف عائقًا أمام تحقيق الجمالية الأدبية، ومن صور ذلك الاختزال Reduction: الاختزال فى الشكل form، الاختزال فى المعنى meaning، الاختزال فى نوع واحد من السردية الواقعية narrative realism [٢].

ومن أشكال اختزال الأدب من الناحية الجمالية اختزاله فى الكتابة الجميلة fine writing أو الخطابات الرنانة belles lettres ... وتتجسد الكتابة الجميلة في جميع أنماط الخطاب تقريبًا: التاريخ، والفلسفة، والسيرة الذاتية، وكتابة الرسائل، والخطب السياسية، وكذلك عبر الفنون الأدبية مثل: الدراما drama، والشعر poetry، والرواية novel ... وليس فقط الشكل المجازي metaphorical figure هو الذي يسهم في التأثير الأدبى، ولكن أيضًا الصياغة phrasing والتركيب structure والإيقاع cadences واختيار الكلمات، ويمكننا استخدام علم البلاغة rhetoric بدلا من علم الجمال لوصف ذلك النوع من الإبداع، وعلى هذا فإن "لامارك" يرفض بناء جماليات الأدب على أساس الكتابة الجيدة أو على الخطابات الأدبية الرنانة [٣].

أضف إلى ذلك أن التركيز على الكتابة الجيدة لا يوفر طريقة مبدئية للتمييز بين "الأدب" بالمعنى العام و"الأدب" بالمعنى الضيق للفن الأدبى، ولذا فإن تسمية الأدب الخيالي imaginative literature بالنسبة للأخير ليست مرضية تمامًا؛ لأنها تشير كما لو أن الخيال ليس له دور في الخطابات الأخرى ... كما تظهر على أنها تفرق بين الأنواع الأدبية وتفضل

---

[١] سانتيانا، جورج: الإحساس بالجمال، مرجع سابق، ص١٠٧.

[2] **Lamarque, Peter: Aesthetics and literature: a problematic relation? Op. Cit, P. 31.**

[3] **Ibid, P. 32.**

بعضها على الآخر، كتفضيل الروايات، على الشعر الغنائي lyric poetry، ولذا فمن الأفضل التمييز بين الأعمال الفنية الأدبية، وأعمال التاريخ، أو الفلسفة، أو السيرة الذاتية، بصرف النظر عن "الكتابة الجميلة" ... فقد تكون الكتابة الجميلة شرطًا كافيًا للأدب بالمعنى العام، لكنها ليست كافية للأدب كفن، ويمكن القول إنها ليست ضرورية [١].

يضيف لامارك قائلًا: " **من الخطأ تنحية الكتابة الجيدة جانبًا عند التعامل مع الصفات الجمالية للأدب؛ حيث تكون المتعة الجمالية في الكتابة الجيدة أينما ظهرت ... إلا أن الكتابة الجيدة في الفن الأدبي نادرًا ما تكون غاية في حد ذاتها، بل هي وسيلة لتحقيق غاية أو نتيجة أخرى**" [٢].

وفى الفن على نحو خاص يتجلى الدور السحرى للكلمة، ففى الفن تتحول الكلمة إلى مادة، إلى شئ، إلى كون، إلى عالم، إلى فعل؛ فالكلمة التى اعتدنا فهمها كشئ مثالى تؤخذ هنا كشئ جسدى أو مادى، ليس على المستوى المجازى فقط لكن الحرفى أيضًا [٣].

لذا ينبغى علينا الالتزام بالفكر، والثقة فى كلمة العقل، والإصغاء إليها كما لو كانت مقدسة ومبجلة، تساعدنا على ذلك الذاكرة فهى مخزن معارفنا ومعلوماتنا، التى تستقر فيها ثقافتنا، وهى التى تنبهنا إلى مسار الفكر العقلى [٤].

مع ذلك، فإن النقطة النظرية المهمة هي أن الأدوات الشكلية أو البلاغية هي في حد ذاتها ميزات نصية، يمكن تحديدها بشكل مستقل عن الأهداف البلاغية، وغالبًا ما تخضع لقواعد قابلة للتعلم، وتكتسب تلك الأدوات أهميتها الجمالية حينما تجد لها وظيفة إبداعية داخل عمل فنى محدد [٥].

كما أنه من الخطأ اختزال الأدب – بمعناه العام (الأدب الذى يحتوى على الصفات الجمالية) – في الكتابة الجيدة، فمن الخطأ أيضا اختزال الأدب إلى لغة أو معنى language or meaning في حد ذاته؛ فالأعمال الأدبية ليست مجرد سلاسل من الجمل لتعيين معنى لها (أى أنها ليست مجرد نصوص جافة)، وقد رفض النصيون المتطرفون Extreme textualists

---

(1) **Loc. Cit.**

(2) **Loc. Cit.**

(٣) حماد، حسن: الخلاص بالفن التراجيديا نموذجا، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص ٢٥.

(٤) عباس، راوية عبد المنعم: علم الجمال وتاريخ فلسفة الفن والحضارة، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١٣ م، ص ٢٤٩ – ٢٥٠.

(5) **Lamarque, Peter: Aesthetics and literature: a problematic relation? Op. Cit, P. 33.**

وجود خاصة مميزة للأعمال الأدبية تفرقها عن النصوص الأخرى، وهم يعتقدون، مع رولان بارت: "**أن النصوص هي كتابة غير متمايزة؛ في انتظار أن يصوغ القراء معانيهم الخاصة**"، ومع ريتشارد رورتي Richard Rorty (١٩٣١ – ٢٠٠٧) فى أن "**تماسك النص ... ليس أكثر من حقيقة أن شخصًا ما وجد شيئًا مثيرًا للاهتمام ليقوله حول مجموعة من العلامات والضوضاء** " ... ولعل تلك الرؤية لا تؤدى فقط إلى انتهاء الاهتمام الجمالي فى الأدب (أى خصائصه الجمالية) بل إلى اختفاء الأدب كنوع من الفنون، وهناك شكل آخر للاختزال اللغوى للأدب، يجعله مجرد نص كلامى للتواصل؛ فقد حاول نويل كارول[*] Noe¨l Carroll (١٩٤٧ – ....) تعزيز التشابه بين الكتابة الأدبية والمحادثة، أما روبرت ستيكر Robert Stecker (١٩٤٧ – ....) فقد دمج بين معنى العمل work meaning ومعنى الكلام utterance meaning، وعلى هذا لا يوجد فرق مبدئي بين كتابة رواية أو كتابة خطاب أو إلقاء خطاب سياسي؛ حيث تظهر جميعها نفس الرغبة في نقل المعنى، وهنا يتم تحديد قيمة العمل الأدبى بناء على قدرة المبدع على نقل المعنى، وقد ثار جدلٌ كبيرٌ بين الفلاسفة حول تلك الرؤية، نظرا لظهور عدة أسئلة من قبيل: ما نوع المعنى الذي يتم نقله؟ وما القيود في استيعاب هذا المعنى؟ هل المعنى المقصود صراحة للمؤلف، أم المعنى السياقي للكلمات المستخدمة، أم معنى الكلام الذي يجمع بين قصد المبدع والمواثيق الأدبية ؟ [١]

ولذا فقد رفض لامارك اختزال الأدب فى المعانى (النصوص) فقط، فنجده يقول: "**إن التركيز على نقل المعاني وفهمها يصرف الانتباه عن القضايا الأكثر جوهرية حول ماهية الأعمال الأدبية وقيمتها؛ حيث يختفى النقاش حول الوصف الجمالي aesthetic description، وإذا أردنا التركيز على جماليات الأدب للوصول إلى مغزى علم الجمال الأدبى، فسيكون من الضروري تجاوز التركيز على الأقوال ومعانيها، فهناك حاجة إلى تحول جذري من صورة المؤلف الذي ينتج نصًا producing a text، وينقل المعنى communicating a**

---

[*] نويل كارول: فيلسوف أمريكي، ولد عام ١٩٤٧، أستاذًا للفلسفة في مركز الدراسات العليا بجامعة مدينة نيويورك، ويُعتبر أحد الشخصيات البارزة في فلسفة الفن المعاصرة، تتركز اهتماماته الفلسفية الأساسية على جماليات السينما، خاصة مجال الأفلام وفلسفتها (وهو من دعاة نظرية الفيلم المعرفي)، وقد نشر أيضًا عدة مقالات صحفية، إلى جانب مؤلفاته فى فلسفة التاريخ، ومن أهم مؤلفاته: ما وراء الجمال مقالات فلسفية، فلسفة الفن مقدمة معاصرة، الفن فى ثلاثة اتجاهات، فلسفة الفن الرياضى.

**Look: https://www.gc.cuny.edu/page-elements/academics-research-centers-initiatives/doctoral-programs/philosophy/faculty-bios/noel-carroll In: 5-5-2021, 8:30 Pm.**

**[1] Lamarque, Peter: Aesthetics and literature: a problematic relation? Op. Cit, P. 34.**

**meaning، ويدعو إلى الفهم inviting understanding، إلى صورة المؤلف الذي يخلق عملاً creating a work، وينخرط في ممارسة engaging a practice، ويحث على الإدراك inviting appreciation، وذلك الأخير هو الذى ينتج لنا عملًا أدبيًا متماسكًا وغير مختزل ويمتلك الصفات الجمالية**" [١].

إذا كان الأدب هو اللغة وقد نُزعت من سياقها، وجُردت من الوظائف والأغراض الأخرى، فهو ذاته سياق يعزز ضروبا خاصة من الاهتمام ويثيرها، على سبيل المثال، يهتم القراء بالتعقيدات الكامنة ويبحثون عن المعاني المضمرة، من دون الافتراض، أن المنطوق يعلمهم بعمل شيء ما، فأن تصف الأدب هو أن تحلل نسق من الافتراضات والعمليات التأويلية التي قد يطبقها القراء على مثل هذه النصوص [٢].

ويضيف لامارك: "**بالطبع لا يمكننى إنكار أن الأعمال الأدبية مرتبطة بالنصوص والمعاني ... الخطأ هو افتراض أن التفسير أو المعنى هو أساس التقدير الجمالى للأدب**" [٣].

على سبيل المثال: فإن قصيدة الميعاد Epithalamion لإدموند سبنسر [*] Edmund Spenser (١٥٥٢ – ١٥٩٩)، والتى كتبها عام ١٥٩٥ تتطلب قدرًا كبيرًا من الشرح؛ فيقول:

بينما تسير الهوينى وهى قادمة إلينا

نضرة كفيبى (آلهة القمر) حين تطل من حجرتها الشرقية

تسير فى خيلاء إلى سباقها العظيم (حياتها المستقبلية)

مرتدية زيها الأبيض، كالملكة عذراء (الملكة اليزابيث الأولى)

تخطف الأنظار، لا تخيب بها التوقعات

---

[1] **Loc. Cit.**

[٢] كالر، جوناثان: النظرية الأدبية، ترجمة: رشاد عبد القادر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٤ م، ص ٣٤ – ٣٥ .

[3] **Lamarque, Peter: Aesthetics and literature: a problematic relation? Op. Cit, P. 34.**

[*] إدموند سبنسر (١٥٥٢ ، ١٥٩٩): شاعر إنجليزي، أحد أهم رواد الشعر الإنجليزي المعاصر، من أهم مؤلفاته القصيدة الملحمية ملكة الجن The Faerie Queene، التي قدَمت تبريراً للمذهب البروتستانتي، وقد بشرت كذلك بالدفاع عن الموقف البيوريتاني تجاه الكنيسة.

**Look: - https://www.britannica.com/biography/Edmund-Spenser 4/5/2021, 11: 30 Pm.**

بها صفات الملائكة

تتسدل عليها خصال صفراء طويلة، كخطوط الذهب

لجسدها عطر ذكى، كزهور بيرلينج تووين

كأن كسوتها الذهب

متوجة بالزمرد الأخضر (كتاج الورد)

كاملة الأوصاف كمايدن كوين (الملكة اليزابيث الأولى) (*)

للمفردات هنا معانٍ متعددة؛ حيث تشير كلمة بدين portly إلى الأناقة، وكلمة يبدو seems إلى الزى، وكلمة توقع weene إلى الصدق، وكلمة متعرج perling إلى الرونق ... وكذلك الأمر بالنسبة للتشبيهات اللغوية؛ فقد استخدم الشاعر هنا الإشارات الكلاسيكية أو الأسطورية إلى فيبي **Phoebe** (إلهة القمر)، والإشارات التاريخية إلى مايدن كوين " mayden quene" (الملكة إليزابيث الأولى) ... والسعى وراء المعنى النصي أو اللفظي في هذا السياق هو مجرد تمهيد لتقدير قصيدة سبنسر كعمل أدبي، يبدأ ذلك التقدير بالاعتراف بأن القصيدة تنتمي إلى الفكرة التقليدية المسماه المهاد epithalamic الذي كان شائعًا في عصر النهضة ولكنه يعود إلى الشاعر الروماني كاتولوس Catullus (٨٤ ق.م – ٥٤ ق.م)، والمهاد Epithalamia هي احتفالات الأعراس، باتباع تقاليد صارمة في التألق، والتصوير، والنعوت، والهيكل الزمني، مع تقدم تقليدي من خلال الطقوس الدينية، والمواكب، والمآدب، والغناء

---

(*) **Loe where she comes along with portly pace,**
**Lyke Phoebe from her chamber of the East,**
**Arysing forth to run her mighty race,**
**Clad all in white, that seemes a virgin best.**
**So well it her beseemes that ye would weene**
**Some angell she had beene.**
**Her long loose yellow locks lyke golden wyre,**
**Sprinckled with perle, and perling flowers a tweene,**
**Doe lyke a golden mantle her attyre,**
**And being crowne´d with a girland greene,**
**Seeme lyke some mayden Queene.**

والصخب ... وما أصبح بارزًا في نقد قصيدة سبنسر ليس الطريقة التي يتبع بها التقليد أو يستخدم الصور التقليدية ، ولكن بالأحرى محاولته إنتاج شيء غير عادي وفريد من نوعه [١].

ورغم كل هذا الاحتفاء بالمعنى اللفظي للقصيدة إلا أن الباحث يرى – متفقا فى ذلك مع لامارك – بأنه لا يجب علينا أن نفصل بين وحداتها في تقييمنا الجمالي لها، ولا يمكن اختزال هذا التقييم من جهة واحدة، بل يجب تذوقها كلها على اعتبارها مكوّنًا واحدًا.

إن تقدير قصيدة سبنسر لا ينشأ من الاعتراف بتضمينها في التقليد الشعري فحسب، بل أيضًا من التوقعات الأوسع للفن الأدبي في حد ذاته؛ حيث يتضمن تقدير القصيدة تحديد موقعها في كل من السياق المحدد للتقاليد المعرفية وفي سياق الفن الشعري المتصور على نطاق أوسع، وهنا يعتبر الاهتمام بالوحدة البنيوية والموضوعية جزءًا لا يتجزأ من ممارسة قراءة القصيدة كقصيدة ... ولذا فإننا نستخدم مصطلحات جمالية مثل "التناظر الأنيق" elegant symmetry و"الانسجام المعقد" intricate harmony ؛ لأن ما يحدده التحليل هنا يعد سمة جمالية، وليست مجرد سمة نصية للقصيدة؛ حيث نجد أن فكرة وجود دوائر متحدة المركز توحد العمل هيكليًا وموضوعيًا، مع وجود الزوجين في المركز تحيط بهما السماء، ليست متضمنة فى النص من خلال المحتوى الدلالي semantic content، ولكنها منبثقة emergent كميزة أعيد بناؤها بشكل تخيلي من قبل قارئ يسعى للحصول على نوع مميز من التقدير للعمل الأدبى، وهنا يجب أن يسعى قراء الفن الأدبي إلى التماثل symmetries والوحدة unity والترابط connectedness وهى رؤية ضرورية لنمط الاستجابة الذي تتطلبه ممارسة النقد الجمالى للإبداعات الأدبية؛ حيث يتم تعريف الأعمال الأدبية على أنها الأعمال التي تدعو وتكافئ مثل هذه الاستجابة، وهذا هو جوهر ما يجعل الأدب موضوعًا مناسبًا للتقييم الجمالي ولا يمكن اختزاله في حقائق حول المعنى اللغوي [٢].

ولا ينبغي، من ناحية أخرى، اختزال الاهتمام الجمالي بالرواية كشكل فني إلى اعتبارات شكلية، ذلك أنه عندما يلجأ الفلاسفة إلى الرواية، فإن هذا النوع من الاختزال ليس هو الذي يثير اهتمامهم، بل هو نوع آخر يرى الفن السردي أساسًا من منظور الحبكة plot والشخصية character والعالم world ... إن قراءة وفهم رواية خيالية، بناءً على وجهات نظر اختزالية، يعني فهم الحقائق facts حول عالم خيالي إما من خلال الإيمان believe أو عن طريق عرض

---

(1) **Lamarque, Peter: Aesthetics and literature: a problematic relation? Op. Cit., PP. 34 - 35.**

(2) **Ibid: P. 36.**

العوالم بطريقة أخرى؛ فالخيال وفقًا لمصطلحات ديفيد لويس[*] David Lewis (١٩٤١-٢٠٠١)، "يُقال على أنه حقيقة معروفة" ''told as known fact''، ما يفتقده هذا الاهتمام بالسرد هو بالضبط ما يجعل السرد محورًا للجمال، أي الأنماط التي يتم من خلالها تقديم "العالم" ونقص الشفافية في الوصف الروائي. [١]

حتى وإن كانت شكليات العمل الأدبى من نظام نحوي وغيره في العمل الأدبي له جماليات تتبدى في طرائق الكلمات، وهيئات التأليف بينها، وفي أركان الجملة وخصائصها، وتفاعل كل ذلك، وفي (فاعليته)، وآثاره في بنية القصيدة من الجهتين، التركيبية والرمزية يعني ذلك كله أننا نظل ننجذب في المرتبة الأولى إلى الجانب الشكلي في العمل الأدبي، فتبهرنا طريقة التأليف، بسحر تركيب الجمل، بما فيها وحسبنا هنا أن نشير إلى الوعي بدور طرائق الكلمات من تقديم وتأخير وحذف إلى غير ذلك من طرائق نظم الكلمات، وخصائص تأليف الجمل في التعبير الأَدبي .. فالنظم وطرائق التعبير، هي الركائز التي يرتكز عليها الجمال الأدبي[٢].

حتى وإن كان كل هذا؛ إلا إن لامارك يرى أن اختزال العمل الأدبي في حيثية دون أخرى يفقده معناه الجمالي المطلوب.

وإذا كان جمال الأدب مستمدًا من جمال التعبير، فإن جمال التعبير مستمد من روح وشخصية الأديب، لأنها _فيما أعتقد_ مصدر كلِّ جمال في الأدب، وهو ما سيتحدث عنه "لامارك" لاحقًا تحت مسمى "الجمال التجريبي" أو (التجربة الجمالية).

---

[*] ديفيد لويس (١٩٤١-٢٠٠١): فيلسوف أمريكى، قدم إسهامات كبيرة في فلسفة اللغة، وفلسفة الرياضيات، وفلسفة العلوم، ونظرية المعرفة، إلى جانب فلسفته فى الاخلاق وعلم الجمال، وقد اهتم بالأخلاق التطبيقية، خاصة قيم الفضيلة والتسامح؛ حيث يعتقد أن دافعنا للتسامح يأتي من تشكيل "معاهدة ضمنية" مع أولئك الذين لديهم آراء مختلفة، وهى استراتيجية مثالية لمن يخشون الوحدة ويسعون نحو البقاء ضمن الأغلبية، ويعد من أنصار الذاتية، فيرى بأن شيئًا ما يكون ذا قيمة بالنسبة لنا إذا كنا سنقدره في ظل الظروف المثالية لنا، ومن أهم مؤلفاته: أوراق فى الأخلاق والفلسفة الاجتماعية ٢٠٠٠م.

**Look:** **- https://plato.stanford.edu/entries/david-lewis/#Bib 5/5/2021, 4:10 Pm.**
**- https://iep.utm.edu/d-lewis/ 5/5/2021, 4:25 Pm.**

[1] **Lamarque, Peter: Aesthetics and literature: a problematic relation? Op. Cit., P. 37.**

[٢] مرزوق، حلمي: النقد والدراسة الأدبية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط١، القاهرة، ١٩٨٢، ص١٠٨.

إن تقدير المحتوى السردي ليس (مجرد) تحقيق واقعي في ما هو حقيقي في عالم محتمل، ولكنه إعادة بناء تخيلية لقطعة أثرية من اللغة؛ حيث إن فهم المحتوى الافتراضي للجمل السردية لا يكفي لفهم قدم العالم والشخصيات، ولكن هناك حاجة إلى شيء يشبه جشطالت سيبلى Sibleyan gestalt لتقدير أهمية المحتوى الوصفي والترابط بين عناصره، وفى ذلك تفعيل لمبدأ الوظيفة الذي لا ينطبق على الروايات القائمة على الحقائق، أي أنه بالنسبة لأي عنصر من عناصر السرد (عبارة أو جملة أو مقطع، بالإضافة إلى حادثة أو شخصية أو وصف للمكان) دائمًا ما يكون هناك تساؤل عن الوظيفة التي يؤديها هذا العنصر [١].

لا يختلف تقدير السرد القصصي وإدراكه في النثر اختلافًا جوهريًا عن تقدير الشعر، ففي كلتا الحالتين، يتم استدعاء نوعًا خاصًا من التمييز الذي يتجاوز مجرد فهم النص ويفترض البدء في ممارسة مُميزة للقراءة، فنجد أن القارئ الذي يقترب من النص من وجهة نظر أدبية لديه توقعات خاصة حول المغزى الذى سيصل إليه من ذلك الاهتمام، وما يحصل عليه القارئ هنا هو تجربة للقيمة value experience، وعلى ذلك فإن العمل الذي يقدم القليل عن طريق الترابط الداخلي internal connectedness، والوحدة الموضوعية thematic unity، وتعقيد البنية complexity of structure، والرؤية العامة generalised vision الناشئة عن خصوصيات الموضوع، لن يكافئ الاهتمام الأدبي؛ حيث يقدم – في أفضل الأحوال – تقديرًا جماليًا محدودًا [٢].

وعلى هذا ، وبالطريقة التي يمكن إدراك جماليات العمل الأدبي يمكن أن نعي جيدا وباطمئنان الصلة الوثيقة بين الأدب وعلم الجمال، وفي هذا يقول لامارك مؤكدا على تلك العلاقة: " **إن تطبيق السمات الجمالية على الأعمال الأدبية هو نشاط جدير بالاهتمام؛ فالمتعة الجمالية التي أطلق عليها اسم "التقدير" ''appreciation'' تختلف تمامًا عن الملذات الحسية المختزلة، في الواقع، يبدو أننا قد وصلنا إلى دائرة كاملة للاستجابة للأدب كأدب أو كفن، وما أوجزته هنا هو في جوهره مألوف للنقاد الأدبيين، فرؤيتى الخاصة لم ترفع نمطًا من الأدب على آخر، كالشعر أو السرد poetry or narrative، ولتحقيق ذلك قد تجاهلت النظرية الشكلية، كما أنكرت النزعة السائدة بين الفلاسفة، والتى تذهب إلى أن الخيال السردي narrative fiction مجرد نافذة على عوالم بديلة، يسكنها صور طبق الأصل لأنفسنا ... وقد كانت حجتي أن جماليات الأدب يجب أن تتجنب التركيز في ثلاثة مجالات: على**

---

[1] **Lamarque, Peter: Aesthetics and literature: a problematic relation? Op. Cit, P. 37.**

[2] **Loc. Cit.**

**الخصائص النصية الجوهرية، وأولوية المعنى، وعلى وجهات النظر الاختزالية للحبكة والشخصية، ولا تتعارض تلك الحجة مع المبادئ الأساسية النقدية: بين النصوص والأعمال، وتحديداً السمات النصية والسمات الجمالية، بين التقدير والفهم، وبين ما يعنيه الشيء وكيف يعمل الشيء"** [١].

ويضيف لامارك قائلا: "**إن العناصر الجمالية التي تم تحديدها في الأدب ليست مجرد تحولات جيدة الصنع للعبارات أو الصور التعبيرية – على الرغم من أن الجميع يوافق على وجود مثل هذه الأشياء – ولكنها بالأحرى صفات ناشئة تصبح بارزة عندما يتم توجيه الاهتمام المناسب إلى تلك الأعمال، ومن هنا فإن هناك نوعًا من الإدراك ينطوي على تمييز مثل هذه الصفات وهو في النهاية مصدر للمتعة، وبهذا المعنى، فلا داعي للتقليل من السمات الجمالية عند تطبيقها على الأدب**" [٢].

وعلى هذا فإن الأدب وثيق الصلة بعلم الجمال؛ حيث يُطلق مصطلح الأدب على كل إبداع يحتوى على السمات الجمالية المميزة له، والتى تجعله إبداعًا ذا قيمة فنية.

**نتائج البحث:**

يمكننا أن نستخلص من هذا البحث حول جدلية العلاقة بين الجمال والأدب عند بيتر لامارك بعض النتائج المهمة وهى على النحو الآتى:

**أولًا:** "الفن لذاته"، عبارة تشع بها فلسفة لامارك في شتى جوانبها، وهي المرآة التي يرى بها لامارك الفن بشكل عام والأدب على وجه خاص، وتنعكس عليها فلسفته نحو آرائه المختلفة في الأدب، الأمر الذي يفسر اعتداده البالغ بالخبرة الجمالية والتجربة الفنية للأدب التي تعد بمثابة جوهر الجمال الأدبي بغض النظر عن ملحقاته العارضة كالشكل واللفظ، الأمر نفسه الذي دفعه إلى أن يعتبر الأدب هدفا في ذاته، لا وسيلة لأجل غاية أخرى.

**ثانيًا:** اعتبر لامارك أن الجمال خصيصة أدبية بامتياز، ولا يمكن أن يتشكل الأدب فى صورة جميلة وإلا فقد الأدب معناه وماهيته، بل إن مفهوم "الأدبية" يكاد يضارع مفهوم "الجمالية"، مما يعني أن المساحة بين علم الجمال والأدب مساحة ضيقة

---

(3) **Ibid: P. 39.**

(1) **Loc. Cit.**

للغاية، ومما يعني أن الأدب وعلم الجمال متكاملان، أي كل منهما يخدم الآخر في مجاله، وإن كان بينهما مساحة متحدة، هي جمالية النص.

**ثالثًا:** يمكن إدراك التشابك الواقع بين الأدب وعلم الجمال من حيث تحديداته المتمثلة في المعني والأسلوب والخيال، والتي هي نفسها المكونات التي يحكم من خلالها على الجمال الفني بشكل عام بكافة أنواعه. بينما يحددها لامارك في سمتين فقط: هما الإدراك والخبرة الحسية.

**رابعًا:** رفض لامارك النظر إلى العمل الأدبي من جهة دون أخرى، كمثل الحديث عن الجمال اللفظي والعبارات الرنانة والأدوات الشكلية أو البلاغية، دون إدراك الشكل الجمالي في صورته الكاملة المتعددة الجهات، ومن ثم؛ فالعمل الأدبي لدى لامارك وحدة واحدة مكتملة لا يمكن فصل مفرداتها أو تفكيكها عن بعضها البعض، وإلا فقد العمل جانبا مهما من جوانبه الجمالية [*] ويضيف إلى ذلك، أن الحديث عن القيمة الجمالية من خلال القواعد اللغوية (الشكلية) وحدها _على سبيل المثال_ لا يصل به إلى جوهر القيمة الجمالية؛ لأن القواعد الأدبية _ بتعبير لامارك نفسه "قابلة للتعلم"، والفن تجربة ذاتية، والتجربة الجمالية بتعليمها تفقد العمل جماليته وتصير صاحبه إلى صاحب حرفة بدلا من أن يكون فنانا.

**ثبت المصادر والمراجع:**


1- Gaut, Berys: *Art, Emotion and Ethics*, Oxford University Press, Oxford, 2007.
2- Lamarque, Peter: *Aesthetics and literature: a problematic relation?*, Springer Science+Business Media B.V., 2007, PP. 27-40.
3- Lays, Colin: *Sibely*, in: The Routledge Companion to Aesthetics, Ed. By: Berys Gaut and Dominic Mclver Lopes, 2nd Edition, Routledge, New York, 2005, PP. 190-199.
4- Sibley, Frank: *Aesthetic Concepts*, The Philosophical Review, Vol. 72, No. 1, 1963, PP. 421-450.
5- Thompson, Ann: *King Lear, An Introduction to the Variety of Criticism*, Macmillan Publishers, New York, 1988.


[*] لعل هذا مشابه لما أثير حوله الجدل في التراث العربي القديم حول جدل أولوية اللفظ والمعنى.

6- Umbers, Richard: *Book review(Art emotion and ethics by Berys Gaut),* the Heythrop journal, vol. 51, No. 1, January, 2010, PP. 172-173.

٧- تليمة، عبد المنعم: مدخل إلى علم الجمال الأدبي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨.

٨- جمعة، حسين: جمالية الخبر والإنشاء، (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥.

٩- حماد، حسن: الخلاص بالفن التراجيديا نموذجا، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ٢٠٠٢.

١٠- سانتيانا، جورج: الإحساس بالجمال، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، مراجعة: زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١.

١١- عباس، راوية عبد المنعم: محمد، علي عبد المعطى: الحس الجمالي وتاريخ التذوق الفني عبر العصور، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٥.

١٢- عباس، راوية عبد المنعم: علم الجمال وتاريخ فلسفة الفن والحضارة، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١٣.

١٣- كالر، جوناثان: النظرية الأدبية، ترجمة: رشاد عبد القادر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٤.

١٤- مرزوق، حلمي: النقد والدراسة الأدبية، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٢.

15- https://as.nyu.edu/content/nyu-as/as/faculty/john-guillory.html 2/5/2021.

16- https://plato.stanford.edu/entries/david-lewis/#Bib 5/5/2021.

17- https://www.bloomsbury.com/author/frank-kermode 2/5/2021.

18- https://www.britannica.com/biography/Edmund-Spenser 4/5/2021.

19- https://www.britannica.com/biography/Geoffrey-H-Hartman 2/5/2021.

20- https://www.britannica.com/biography/Roland-GerardBarth es 2/5/2021.

21- https://www.gc.cuny.edu/page-elements/academics-research-centers-initiatives/doctoral-programs/philosophy/faculty-bios/ noel-carroll 5/5/2021

22- https://www.york.ac.uk/philosophy/staff/peterlamarque/#profile-content 1/5/2021.